الحمدُ للَّهِ حمدًا كثيرًا طيّبًا مبارَكًا فيهِ مبارَكًا عليْهِ كما يحبُّ ربُّنا ويرضى.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ–صلى اللهُ وَسَلَّمَ وبَارَكَ عليهِ وعلى آلِهِ وصحبِهِ–.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)، أَمَّا بَعْدُ: فيا إخواني الكرامُ:

إنَّ أعظمَ ما يملكُه المؤمنُ بين جنبيهِ إيمانُه باللهِ–تعالى–، الإيمانُ أغلى وأعظمُ ما يقعُ في القلوبِ، وحينما تهبُ رياحُ الإيمانِ فإنَّه يصنعُ العجائبَ، في

دنيا تعلَّقَ الناسُ بنعيمِها وأموالِها وشهواتِها، فكانت الدنيا أكبرَ همومِهم وغمومِهم، وربّما باعوا دينَهم بدنياهم–عياذًا باللهِ تعالى–.

اليومَ نروي قصةً، استخفتْ صاحبَتُها بالدنيا وزُخْرُفِها، وبعُتاةِ الكفرِ وجَبروتِهم، واستعلتْ عليهم، وهي مِنَ النساءِ اللاتي هنَّ أضعفُ مِنَ الرجالِ، فكمْ علتِ بعضُ النساءِ على بعضِ الرجالِ!

صاحبةُ القصةِ المرأةُ المؤمنةُ الصابرةُ (ماشطةُ بنتِ فرعونِ)–التي تُمَشِّطُ شعرَها وتُزَيِّنُها (الكوافيرة)–، لم يحفظِ التاريخُ اسمَها، لكنه حفظَ فعلَها، ورفعَ اللهُ ذكرَها، وأكرمَها بِجَنَّاتَ الخُلْدِ مع أولادِها، فلما أُسْرِيَ برسولِ اللهِ–صلى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ–شمَ رَائِحَةً

طَيِّبَةً، فَقُالَ: يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ؟ فَقَالَ: هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلادِهَا، فقَالَ: وَمَا شَأْنُهَا؟ فأخبرَه بخبرِها، فما خبرُ هذهِ المرأةِ؟

إنها امرأةٌ صالحةٌ، كانت تعيشُ هي وزوجُها في مصرَ في مُلْكِ فرعونَ، وهي كوافيرةُ ابنةِ فرعونَ.

آمنتْ معَ منْ آمنَ بعدَ قصةِ إيمانِ سحرةِ فرعونَ، حينما أظهرَ اللهُ موسى بعصاهُ عليهم، فَأَخْفَوا إيمانَهم؛ خوفًا مِنْ جبروتِ فرعونَ وقومِه، قال- تعالى-: (فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ).

وبينما هي تُمَشِّطُ ابنةَ فرعونَ يومًا، إذْ وقعَ

المِشطُ مِنْ يدِها، فقالت: باسمِ اللهِ، فقالتِ ابنةُ فرعونَ: اللهُ أبي؟ فقالتِ الماشطةُ: كلا، بل اللهُ ربي، وربُّك، وربُّ أبيك، وربُ العالمينَ، فتعجبتِ البنتُ أن يُعبدَ غيرُ أبيها، فقالتْ لها: أُخْبِرُ أبي؟ قالتْ: نعمْ، فأخبرتْه فعجبَ أنْ يُوجدَ في قصرِه منْ يعبدُ غيرَه! فدعا المَاشِطةَ، وقالَ لها: مَنْ ربُك؟ قالتْ: اللهُ ربي وربُك وربُ العالمينَ، فغضبَ عليها، وأمرَها بالرجوعِ عن إسلامِها، فلمْ ترجعْ، فأمرَ بتعذيبِها فلمْ ترجعْ، ثم أمرَ بإناءٍ مِنْ نُحاسٍ فُمِلِئَ بالزيتِ، ثم أُوقدَ عليه حتى غلا وفارَ، وأوقفَها أمامَ الإناءِ، فأيقنتْ أنَّما هي نَفْسٌ واحدةٌ، تخرجُ وتلقى اللهَ-تعالى-راضيًا عنها، وكانَ لها أولادٌ، فأرادَ أنْ يُحرِقَهم قبلَها لترجعَ عن

إسلامِها، أو ليحترقَ قلبُها قبلَ أنْ تحترقَ أجسادُهم، فجاؤُوا بهم، ولا يدرون إلى أينَ يُساقونَ، فلمَّا رأوا أمَهم تَعَلَّقُوا بها يبكونَ، فانكبتْ عليهم تُقَبِّلُهم وتَشُمُّهم وتَضَمُّهم وهي تبكي، وأخذتْ رضيعَها وضَمَّتْه إلى صدرِها، فلما رأى فرعونُ هذا المنظرَ أمرَ بأكبرِهم فجرَّه الجنودُ، وهو يصيحُ ويستغيثُ، ويسترحمُ فرعونَ وجنودَه، ويتوسلُ إليهم، وهم يضربونَه ويُهينُونَه، أمامَ أُمِهِ وإِخوتِه، ثمَّ رَمَوْهُ في الزيتِ المَغْليِّ، فذابَ لحمُه وطَفَتْ عظامُه بيضاءَ فوقَ الزيتَ، وأمُه وإخوانُه يبكونَ لا يكادونَ يُصدقونَ ما يَحدثُ!

فنظرَ إليها فرعونُ، وأمرها بالكفرِ باللهِ والعودةِ

لعبادة فرعونَ ودينِه فأبتْ، فأمرَ بأولادِها واحدًا تلوَ الآخر وفُعِلَ بهم مثلَما فُعِلَ بالأولِ، والأمُ ثابتةٌ على دينِها، موقنةٌ بلقاءِ ربِها، ثم أمرَ بطفلِها الرضيعِ، فانتزَعَه الجنودُ منها، فَصَرَخَ الصغيرُ، وبكتِ المسكينةُ، فلما رأى اللهُ–تعالى–ذُلَها وانكسارَها، وفجيعتَها برضيعِها، أنطقَ الصبيَّ الرضيعَ فقالَ لَها: يا أماهُ اصبري، فإنَّك على الحق، ثم انقطعَ صوتُه، ورُميَ في الزيتِ المغليِّ مع إخوتِه، فطَفَتْ عظامُه بيضاءَ معهم فوقَ الزيتَ.

وبقيتْ وحيدةً فريدةً، فأمرَ فرعونُ جنودَه، فأقبلوا إليها كالكلابِ الضاريةِ، فلمَّا حملوها ليَقْذِفُوها في الزيتِ المغليِّ، التفتتْ إلى فرعونَ وقالتْ: أريدُ منكَ

حاجة، فقال: ما حاجتُك؟ فقالتْ: أنْ تجمعَ عظامي وعظامَ أولادي، فتدفنَها في قبرٍ واحدٍ، فقال: لكِ ذلكَ، فرموها في الزيتِ المغلي، فذابَ لحمُها، وطفتْ عظامُها مع أولادِها، فسبحانَ اللهِ، ما أظلمَ الطغاةَ! وما أقسى قلوبَهم! وللهِ درُها! ما أعظمَ ثباتَها! وما أكثرَ ثوابَها!

كانت تستطيعُ أنْ تنجوَ وأولادُها بكلمةِ كفرٍ تُسْمِعُها لفرعونَ، لكنها علمتْ أنَّ ما عندَ اللهِ خيرٌ وأبقى، فباعتْ نفسَها وأولادَها للهِ، راجيةً رضاه وجنتَه، وشوقًا للقائِه ورؤيتِه، تعبتْ قليلًا إلى حينٍ، واستراحتْ أبدَ الآبدينَ، في جناتِ النعيمِ، مضتْ إلى خالقِها، وجاورتْ ربَّها، (في جناتٍ ونهرٍ* في مقعدِ

صدقٍ عندَ مليكٍ مقتدرٍ).

قالَ رسولُ اللهِ–صلى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ دخلَ الجنةَ يَنْعَمُ ولا يَبْأَسُ، لا تبلى ثيابُه، ولا يفنى شبابُه، وله في الجنةِ ما لا عَيْنٌ رأتْ، ولا أُذُنٌ سَمعتَ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ"، ومنْ غُمِسَ في الجنةِ غَمْسَةً واحدةً نَسيَ كلَّ بؤسٍ وشقاءٍ في الدنيا.

إنَّ طريقَ الجنةِ ليس محفوفًا بالوُرودِ، بل بالمَكارِهِ، وطُرُقَ النارِ محفوفةٌ بالشهواتِ، قالَ رسولُ اللهِ–صلى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ–: "حُفَّتِ الجنةُ بالمَكارِهِ، وحُفَّتِ النارُ بالشهواتِ"، فأسألُ اللهَ أَنْ يُثَبِّتَنِي وإياكم والمسلمينَ على دينِهِ، ويُوفِّقَ الجميعَ لمرضاتِهِ.

أستغفرُ اللهَ لي ولكم وللمسلمينَ...

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ كما يحبُ ربُنا ويرضى، أَمَّا بَعْدُ:

فبعضُ المسلمينَ اليومَ يُقَدِّمُ نومَه على الصلاةِ خاصةً الفجرَ والعصرَ، ويُقَدِّمُ شهواتِهِ على حُقوقِ اللهِ، ويُقَدِّمُ الباطلَ على الحقِ، ويُقَدِّمُ اللهوَ واللعبَ، والجوالَ والشبكاتِ، والأفلامَ والمسلسلاتِ، والغناءَ والسهراتِ، على طاعةِ اللهِ وطُرقِ الخيراتِ، والمشيِ إلى بيوتِ اللهِ للصلواتِ والجُمُعاتِ.

بعضُ المسلمينَ اليومَ لا يستطيعُ أنْ يقطعَ جَلْساتِ المنكراتِ، ولا يمتنعَ عن الشهواتِ والأموالَ المُحَرَّماتِ، فيُقَدِّمُها على الإيمانِ باللهِ، وطاعةِ اللهِ، والاستقامةِ على دينِ اللهِ، وتلكَ المرأةُ

المسكينةُ، الصابرةُ المحتسبةُ ضَحَّتْ وجادتْ بنفسِها وأولادِها للهِ–تعالى–، فقدمتْ مرضاتَه على مرضاةِ فرعونَ، وآثرتْ العذابَ والموتَ مع الحقِ والإيمانِ، على المُتَعِ والحياةِ مع الباطلِ والكفرِ.

يا حيُّ يا قيومُ، يا ذا الجلالِ والإكرامِ، نسألكَ بأسمائِك الحُسْنَى، وصفاتِك العُلَى، يا ولي الإسلامِ وأهلِه ثبتْنا والمسلمينَ به حتى نلقاكَ.

اللهم أصلحْ لنا وللمسلمينَ الدِّينَ والدُنيا والآخرةَ، واجعلِ الحياةَ زيادةً في كلِّ خيرٍ، والموتَ راحةً منْ كلِّ شرٍ.

اللهم اهدنا والمسلمينَ لأحسنِ الأخلاقِ والأعمالِ، واصرفْ عنا وعنهم سيِئها، اللهم اغفرْ

لوالدينا وارحمْهم واجعلْهم في الفردوسِ الأعلى من الجنةِ وإيانا والمسلمينَ، اللهم إنَّا نسألك لنا وللمسلمينَ من كلِّ خيرٍ، ونعوذُ ونعيذُهم بك من كلِّ شرٍ، ونسْأَلُكَ لنا ولهم العفوَ والْعَافِيَةَ في كلِّ شيءٍ، اللهم يا شافي اشفنا واشفِ مرضانا ومرضى المسلمينَ والمسالمينَ، اللَّهُمَّ اِكْفِنَا والمسلمينَ بحلالِكَ عن حرامِكَ، وأَغْنِنَا بفضلِكَ عَمَّنْ سِواكَ، اللَّهُمَّ إنَّا نسألُكَ مِنْ فَضْلِكَ ورَحْمَتِكَ فإنَّهُ لا يَمْلِكُها إلا أنتَ، اللهم اجعلنا والمسلمينَ ممن نصرَك فنصرْته، وحفظَك فحفظتْه، اللهُمَّ عليك بأعداءِ الإسلامِ والمسلمينَ وعليكَ بالظالمينَ فإنهم لا يعجزونَك، اكفنا واكفِ المسلمين شرَّهم بما شئتَ، حسبُنا اللهُ ونِعْمَ

الوكيلُ، لا إلهَ إلَّا هوَ عليهِ توكلنا وهو ربُّ العرشِ العظيمِ، اللهُمَّ إنَّا نجعلُكَ في نُحورِهم، ونعوذُ بكَ مِنْ شرورِهم، اللهم إنَّا والمسلمينَ مستضعفونَ فانتصرْ لنا يا قويُ يا عزيزُ.

اللهم أصلحْ وُلاةَ أُمورِنا وأُمورِ المسلمينِ وبطانتَهم، واجعلْ أَمرَهم لِنَصرِ دِينِكَ، ولإعلاءِ كَلمتِكَ، ووفقهمْ لما تحبُ وترضى، وانصرْ جنودَنا المرابطينَ، ورُدَّهُم سالمينَ غانمينَ.

اللهم صلِ وسلمْ وباركْ على نبيِنا محمدٍ، والحمدُ للهِ ربِ العالمين.